﴿ كلمة في الانتباه ﴾

— شذرات من خطبة فلسفية القاها حضرة الاديب الفاضل القس حنا رحماني في نادي تهذيبي في الموصل بموضوع (المنطق) —

هو كنز لا يفنى محجوب في طوايا عقلنا متى عثرنا عليه تحسنت افكارنا وتهذبت اذهاننا ووجدت عقولنا الحقيقة ضالتها المنشودة .

فالى الانتباه انبه الخواطر .

ما الانتباه؟

الانتباه . هو انصباب الفكر وعكفه على موضوع ما .

الفاس لا تقطع مالم توضع على اصل الشجرة ، المنجل لا يقص السنابل مالم يصل اليها وعقلنا لا يدرك الاشياء مالم ينصب عليها .

للدرس ، لاتقان صنعة ، لسماع خطبة ، لحضور حفلة ، لابد قبل كل شيء من الانتباه كثيراً ما تمر الاشياء امام عقلنا فلا نوقفه عليها . كثيراً ما ننظر ولا نرى ونسمع ولا ننصت ، ولذا فمعرفتنا للاشياء هي غالباً ضئيلة ، ضعيفة ، سطحية ، منحرفة ، مغلوطة .

يتشكى الكثيرون انهم لا يفهمون . اجل وعلة ذلك ليست قلة فهم في قوتهم العقلية — علة ذلك قلة انتباه وطياشة .

المعلم يشرح ، الخطيب يخطب ، الراوي يخبر ، القاريء يقرأ ، انظر ياهذا الى الحاضرين . كم من الذين نظرهم ساهٍ وفكرهم غائب عن المجلس وقد اطلقوا العنان لمخيلتهم فهي تشرد من هنا رهناك او تقطع فلوات .... فاذا سئل احدهم بعد اتمام الجلسة فتراه لم يحفظ منها الا النزر القليل .

— منافعه —

ومع ذلك اليك المنافع ينال العقل لو انتبه ، بالانتباه تكثر قواه بصورة

تتوضح الافكار ، بالانتباه تتوصل الذاكرة الى درجة عجيبة من الحفظ لان بالانتباه تنتظم الافكار و يأخذ كل منها مكانه في الدماغ فلا تفقد منها الذاكرة شيئاً .

و بالعكس بالطباشة تتبدد القوى على مواد كثيرة فلا تحفظ منها الذاكرة شيئاً . هنا عاطفة وهناك عاطفة اخرى مضادة فتختبط العواطف وتتكوم الوقائع فتختلط وتتناقض وتبلى كلها فلا يبقى لها في العقل اثر .

لاقراءة ولا محادثة ولا مشهد مهما كان مبتذلاً وزهيداً الا و يستخلص منه العقل المنتبه افادة ، فالرجل المنتبه يلتقط الفتات و يجمعها ليوم الضيق ، فتات مايسمع و يقرأ و يشاهد ، والرجل الطائش الساهي يضيع الجواهر والحجارة النفيسة حقيقة راكزة اليوم ان نجاح امرئ يتأتى لا عن خطة سابقة معلومة اتخذها هذا الرجل دستوراً فسار عليها بل عن فرصة عرضت فجأة فانتهزها وجعلها سلماً بها ارتقى الى اوج الكمال فاصبح مثرياً او خطيباً او كاتباً او وزيراً ... فالنجاح اذاً قائم بانتهاز الفرص في برهة واحدة مناسبة لعلها لاترجع اذا فاتت .

وملاحظة هذه البرهة ومسك هذه الفرصة لايكون الا بالانتباه .

يقال ان نابليون كان يعتقد انه ولد تحت نجم مسعد وانه كان يعتقد بحسن حظه . الا انه كشف يوماً سر نجاحه الباهر فقال : « انتباهي الى مايحدث حولي والى ما ارى واسمع جعلني ان افرز في عقلي لكل باب من ابواب المعارف خزانة فعندي خزانة للسياسة وخزانة للاقتصاديات وخزانة للحرب وخزانة للاداريات وخزانة للشرائع ... فكلما طرقتني معرفة جديدة فتحت لها الخزانة المناسبة لها وهكذا كل شيء مرتب منظم في عقلي ، و يمكنني في وقت واحد ان افتح خزانتين او اكثر وابحث عن اشياء مختلفة ولا تختبط افكاري » .

و يحكى عنه انه كان يلقي في وقت واحد سبعة مكاتيب في مواضيع مختلفة على سبعة كتاب . الم نقل الآن ان الانتباه يطول الزمان .

— شروطه —

مما قلت لعل البعض يظنون ان انتباهاً كهذا متعب ، مضر بالصحة ، لا — لاني قلت انتباهاً وانصباباً ولم اقل ولعاً او هوساً .

الهوس نوع من الجنون وهو غير الانتباه بل مناف للانتباه لان الرجل الاهوس ساهٍ عن كل الاشياء ماعدا شيئاً واحداً صار له فيه تعلق زائد .

المنتبه يوقف من مدة الى اخرى انتباهه ليأخذ جانباً من الراحـة ، فياما الف مشاهدة الفيلسوف العظيم او العالم الكبير يقطع مباحثه ليلعب مع ابنـه الطفل او بدور في بستانه مستنشقاً الهواء النقي ومنتبهاً الى ماتراه عيناه من عجائب الكون — انتباهه هذا الثانى لايتعبه هو راحة له .

المنتبه اديب اذ لايلهيه علمه وغوصه في لجج المعارف عن القيام بواجب من يكلمه او يزوره ، لايسهو عما يتطلب مخاطبه من الوقار والاحترام .

اني لاعجب من البعض، يقولون : كنت في وسط تفكراتى واشغالي واذا بضجة صارت في الشارع او زيارة قريب منعتني من اتمام شغلى فتبددت افكاري وطاش عقلى ... ياله من عقل سخيف ! ضجة صغيرة بلبلت افكاره ، المنتبـه لايكترث لهذه الاشياء واذا قطع حبل افكاره ربطه ثانية وثالثة بلا عناء ولا تكلف لانه هو المالك على افكاره يسوسها كما يريد .

— خاتمة —

قال احد الخطباء والمفكرين العظام : هو الانتباه يوقر الرجل و يعظمهم و يدفعهم الى اكبر المشروعات واسمى النظريات .

الرحماني

* * *